مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة الثالثة

تفسير سورة البقرة من الآية ١٧ الى الآية ٢٤

سلامٌ عليكم، مسَّاكم الله بالخيرِ والإيمان وهذه حلقةٌ أخرى من برنامج قُرآننا. وصل بنا الكلام في الحلقة الماضية إلى الآية السادسة بعد العاشرة من سورة البقرة، الآيات التي تقدَّمَ الحديثُ عنها تحدَّثت عن ثلاثِ مجموعات:

المجموعة الأولى: هم المتقون والذين جاء ذكرهم في أول سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى آخر أوصاف التي ذكرتها السورة المباركة هذه المجموعة الأولى المتقون.

المجموعة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ إلى آخر ما ذكرت السورة المباركة، المجموعة الثانية الكافرون، كافرون بالله كافرون بأنعم الله كافرون بآيات الله كافرون بأولياء الله.

المجموعة الثالثة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخر ما جاء في وصفهم هم المخادعون هم المنافقون وفي الحقيقة هم السفهاء كما جاء في نفس السورة المباركة ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ .

فهناك مجموعة المتقين وهناك مجموعة الكافرين وهناك مجموعة السفهاء وهم المنافقون هذه المجموعات الثلاثة تحدَّثت الآيات المتقدمة الآيات الأولى من سورة البقرة المباركة عن هذه المجموعات الثلاثة. الآية السادسة بعد العاشرة وهي آخرُ آيةٍ تحدَّثنا عنها ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ والآية هنا تتحدثُ عن المجموعة الثالثة عن مجموعة السفهاء عن مجموعة المنافقين هؤلاء الذين هم السفهاء ولكن لا يعلمون هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم، تجارتهم هكذا كانت باعوا الهدى واشتروا الضلالة فرأسُ مالهم وتجارتهم الضلال. الآيات التي نتناولها في هذه الحلقة هي

تتمة لِما تقدَّم ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقد تقدَّمَ الكلامُ في أن هذه الآيات بحسب روايات أهل بيت العصمة تتحدَّثُ عن عليٍ وآل علي عن ولاية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مرَّ علينا في برنامج في فناء الكافي الشريف الأحاديثُ الشريفةُ التي تحدَّثت: إنما يعبدُ الله من يَعرِفُ الله، فكيفَ تكونُ معرفة الله؟ هو التصديقُ بالله والتصديقُ برسولهِ وموالاة عليٍ والإئتمام بهِ وبالأئمة من بعدهِ والبراءة من أعدائهم هكذا يُعرَفُ الله وهكذا يُعْبَدُ الله ومن لم يعرف الله هكذا فإنما يعبدهُ هكذا ضلالاً.

كما مرَّ علينا في الأحاديث الشريفة المعصومية عن أهل بيت العصمة والقرآن الكريم إنما يجري مجرى الشمس والقمر يجري مجرى الليل والنهار فإن القرآن لا يموتُ بموت من نزل فيهم من الجهة التأريخية وإلا إذا مات الذي نزلت فيهِ الآية وبقيت الآية محصورةً به فإن الآية ستموت بموت صاحبها وحينئذٍ سيموت القرآن والقرآن كتابٌ حي ليس محصوراً بزمانٍ معين وليس محصوراً بمكانٍ مُعيّن وليس محصوراً بأشخاصٍ مُعيَّنين، لذلك إن كان الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تتحدث الآيات عن الشرك فيُطبقونها على مُشركي قريش فإنهُ بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وآله يُطبَّقُ معنى الشرك على الذين أشركوا بالله الذين نصبوا أئمةً غير الأئمة الذين نصبهم الله فجعلوا أنفسهم شُركاء لله في نصب الأئمة فيكون الشرك بهذا المعنى ويكون الكفرُ بإمامٍ نصبهُ الله وتكونُ الضلالةُ بالابتعادِ عن أهل بيت العصمة هكذا تكون المعاني لأن القرآن حيٌ وحياة القرآن بحياة معانيه الحقيقية التي تتطابقُ مع الواقع والتي تجري مع الحياة مجرى الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ مثالٌ والقرآن مليءٌ بالأمثلة، الكتب السماوية بشكلٍ عام مليئةٌ بالأمثلة حتى الكتب التي سبقت القرآن، التوراة، الزبور، الإنجيل، الصحف السابقة الصحف التي أُنزِلت على آدم الصُحف التي أُنزِلت على إبراهيم صحف الأنبياء كتب الأنبياء مليئة بالأمثلة وقد وردَ عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأمرَ بدراسة أمثال القرآن فأمثال القرآن على أنحاء على ضروب وأنا هنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ كثيراً عن أنواعِ الأمثال ففي كلِّ حلقةٍ نتحدثُ بما يسمحُ بهِ الوقت وبما أخذناهُ عهداً في هذا البرنامج أن يكونَ التفسيرُ تفسيراً مُيسراً ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ المَثَلُ هنا هكذا يرسمُ لنا القرآن صورةٌ جوٌ مُظلم ليلةٌ ظلماء ليس فيها نجمٌ ليس فيها قمرٌ ليس فيها بدرٌ ليس فيها نور ليلةٌ ظلماء الظلام يُخيِّمُ في كل مكان وهناك أُناسٌ يقفون في هذا الظلام يريدون أن يبصروا ما

حولهم فماذا يصنعون فيوقدون ناراً كي يستضيئوا بنورها كي يستنيروا بنورها فحينما أوقدوا هذه النار وأضاءت هذه النار في وسط هذه الظُلمة الحالكة فأضاءت ما حولها أضاءت ما حولهم ما حول هؤلاء الناس وفُجأةً تخمدُ هذه النار، الله يُخمِدُها فيخمدُ الضوء فماذا سيحلُ بهم ستكون حينئذٍ الظُلمةُ مضاعفة من كان يقفُ في الظلام ثم يستنيرُ بشيءٍ من النور ثم ينطفئ النور فإن الظلمة ستكون مضاعفة فهناك ظُلمتان الظُلمة الأولى هي ظُلمة الواقع الذي يعيشون فيه والظلمة الثانية متأتية من الوسيلة ومن الآلة التي أرادوا أن يستنيروا بها فتحولت إلى ظُلمة والمثَلُ واضح الظُلمة الأولى هي ظُلمة الابتعادِ عن ولاية أهل البيت ظُلمة الابتعادِ عن الهادي الذي يأخذُ الناس إلى الطريق الواضح إلى الصراط المستقيم والظُلمة الثانية هي الظُلمة التي جاءت من الوسيلةِ من الإمام الذي نصبوه واتبعوه هذا الإمام الذي نصبوه واتبعوه باختيارهم تصوروا أنهُ هو الوسيلة التي ستقودهم إلى الهدى تقودهم إلى إنارة الطريق ولكن هذه الوسيلة ماذا كانت عاقبتها؟ عاقبتها الظُلمة المضاعفة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ الآية الشريفة ستأتينا ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ لو نظرنا إلى هذه الآية بنظر الدقة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا واضح يخرجهم من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى أما الذين كفروا يُخرجهم الطاغوت يخرجهم الشيطان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ إلى أين يُخرجونهم ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول إن الذين كفروا متى كان لهم نور حتى يُخرجهم الطاغوت يخرجهم الشيطان من النور إلى الظلمات أهو نور الكفر؟

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أيُ نورٍ هذا؟ الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو نورُ ولاية عليٍ نورُ ولاية عليٍ المستبطنُ في ولاية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فالطاغوت يُخرجون هؤلاء من نور ولاية عليٍ إلى ظُلمات أعداءهِ إلى ظلمات الانحراف عن طريق الهدى ستأتينا الآية، الآية هي أيضاً في سورة البقرة هي من جملة آية الكرسي المباركة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ ظُلمات فوقها ظُلمات واقعٌ مُظلم وأُناسٌ أرادوا أن يستنيروا بضوء النار فاستوقدوا ناراً فأخمدها الله سبحانه وتعالى ستكون الظُلمة حينئذٍ مُضاعفة ظُلمة الواقع وظُلمة الآلة التي أرادوا أن يستنيروا بها الوسيلة النار وسيلة كانت بمثابة الوسيلة بمثابة السبب بمثابة الآلة بمثابة الطريق من خلالها توصلوا إلى الاستنارة ولكنَّ هذه النار خَمُدت

وانطفأت فازدادت الظُلمة ظُلمةً أخرى مَثَلُهُم هؤلاء الذين باعوا الهدى واشتروا الضلالة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ﴾ تصور أنهُ هو قد ربحَ في التجارة لكن التجارة ما كانت قد ربحت وإنما قد خسر كل شيء ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وماذا كانت العاقبة؟

الآية السابقة تقول ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ وهذه الآية تقول ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ ثم تأتي الآية بعدها ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ الصُم الذين لا يسمعون، الصُم الذين يولدون من بطون أمهاتهم وهم لا يسمعون، والبُكم هم الخرُس الذي يولد أخرس من بطن أمه والأخرس هو أيضاً أصم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ والعُمي هم الذين يولدون عمياناً من بطون أمهاتهم ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ لا يرجعون أيُ شيءٍ لا يرجعون؟ يعني لا يرجعون جواباً يعني لا يفهمون شيئاً لأنك حين تُحدِّثُ الأصم تُحدِّثُ الأبكم أو تريد من الأعمى أن يرى شيئاً فلا يعطيك جواباً لا الأصم يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للسمع ولا الأبكم يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للكلام ولا الأعمى يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للبصر **{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}** هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ هذا مثالٌ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ: صَيِّب هو زخة المطر الشديدة المتواصلة، صَيِّب مطرٌ متواصلٌ شديد مطرٌ زخّار ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ الصَيِّب المطر الزخَّار المطر الشديد الذي يُصيبُ كل مكان يُصيبُ التلال يُصيبُ الجبال يُصيبُ الوهاد يُصيبُ الأغوار يُصيبُ الأنجاد يُصيبُ السهول يُصيبُ كل شيء يصيبُ الشجر يصيبُ الحيوان يُصيبُ النبات ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ الصَيِّب مطر شديد متواصل زخَّاخٌ وزخَّار ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ من السماء، السماء هي جهة العلو من أين يأتي المطر؟ يأتي من السماء حينما نقول وتقول الآيات الكريمة وأنزلنا من السماء، الإنزال من السماء من أين من جهة العلو، الغيوم هي أين؟ الغيوم أليس تسبحُ في

الفضاء تسبحُ في داخل الغلاف الغازي ألا ترون أن الطائرات حين تطير تطيرُ فوق الغيوم، الغيوم لها أرتفاع مُعيّن والمطر ينزلُ من هذه الغيوم المرتفعة في الفضاء في الهواء فإنزالُ الماء من السماء يعني من جهة العلو ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ من الجهة العالية التي فوقنا ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ مطر شديد في وقت الظلام ظلام حالك حديث عن ضلالة المثال السابق أيضاً كلام عن ظلام ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مطر شديد في وقت الظُلمة فيهِ ظُلمات وهذا المطر الشديد مصحوبٌ برعد ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ والمعاني واضحة الرعد والبرق معانيه واضحة ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ هناك ظُلمة ثم مطر زخَّار وعادةً الإنسان يتأذى من المطر الشديد يُحاول أن يجدَ مكاناً يأوي فيه لِنَنظُر إلى هذه الصورة ظلمات شديدة ومطر شديد زخَّار وفُجأةً البرق باعتبار البرق الإنسان يراه قبل أن يسمع صوت الرعد وهذه حقيقة علمية واضحة لأن الضوء أسرع من الصوت لذلك نحنُ نرى البرق أولاً ثم بعد ذلك نسمعُ صوت الرعد.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ هنا قرينة أو إشارة أو تصوير إلى قوة صوت الرعد بحيث يُخيف، ظُلمات ومطر شديد بحيث هنا تصعب الرؤية أكثر الظُلمة، الظُلمة هي نفسها لا تُمكِّن الإنسان من أن يرى ما حولهُ ثم يأتي مانعٌ آخر وهو المطر الشديد المتواصل ومع ذلك هناك الرعد الشديد القاصف والذي يكون مُصاحباً للصواعق ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ هم حينما يضعون أصابعهم في آذانهم خوفاً من الصواعق فهل تنفعهم أصابعهم الصاعقة تنزلُ من السماء فما نفعُ الأصابع في الآذان هم فقط يحاولون أن يُبعدوا خوف صوت الرعد وإلا الصاعقة إذا أرادت أن تنزلَ فإنها تنزلُ على رؤوسهم ولا تنفع الأصابع التي وضعت في الآذان ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ والكلام عن مكان مُظلم صحراء مفتوحة في الصحراء الصواعق أين تنزل؟ الصواعق تنزل على المكان الأكثر أرتفاعاً علمياً هذا ثابت أن الصاعقة حين تنزل تنزل على المكان الذي هو أكثر ارتفاعاً إذا كان هناك شجرة تنزل الصاعقة على الشجرة أما إذا كانت الأرض خالية والظلام قد أحاط بها ولا يوجد فيها إلا أُناس الصواعق سوف تنزل على أولئك الأُناس الذين يقفون في تلكم الظُلمة.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ولكن

حتى لو أنهم خلصوا من الموت بالصواعق فهل سيخلصون ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وفوق كل ذلك هناك قُدرة الباري سبحانه وتعالى التي استطالت على كل شيء – **اللّهُمَّ إني أسألُك بقدرتك التي استطلت بها على كل شيء وكل قدرتك مستطيلة** – هناك قدرةٌ استطال بها سبحانه وتعالى على كل شيء ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وهنا استعمال هذه الصفة مُحيط الإحاطة من جميع الجهات إحاطةٌ بالزمان وبالمكان إحاطةٌ بالمادة وبالمعنى إحاطةٌ من جميع الجهات إحاطةٌ بالعقل وبالقلب وبالروح وبالنفسِ وبالضمير وبالوجدان إحاقةٌ وإحاطةٌ بِما يملكُ الإنسان في داخلهِ وفي خارجهِ إحاطةٌ بالإنسانِ وما يحتوي وما يملك وما يتعلق بهِ من بعيدٍ أو من قريب فأين يولي الإنسان وأين يفرُ الإنسان وهو محيطٌ بهِ وهو أقربُ إليه من حبل الوريد.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ حينما تبرق السماء بذلك البرق المتوهج اللامع من شدة لمعانهِ يكادُ أن يخطفَ أبصارهم هم في ظلمة والمطر متواصل ويخافون من الصواعق يحذرون من الموت والرعد شديد ووضعوا أصابعهم في آذانهم لكنهم يريدون أن يُبصروا شيئاً ينتظرون ومضة البرق هذه الومضة الخاطفة في بعض الأحيان الفضول يدفعهم للنظر إلى هذا الوميض الآية تقول ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ وهم في حيرةٍ، حيرة تشدهم في نظرهم إلى هذا البرق الخاطف أو إلى هذه الخطفة النورية السريعة التي قد تُنيرُ لهم شيئاً من الطريق ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ كلما برق البرق مشوا بحسب الوقت القصير لخطفة النور هذه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وإذا أظلم انتهى وقت البرق وقت الوميض قاموا وقفوا لا يستطيعون الحِراك لماذا؟

لا يستطيعون الحراك بسبب الظُلمة بسبب المطر الزخَّار بسبب الخوف من الصواعق بسبب هذا الرعد الصاعق وهذا الرعد المذهل لذلك وضعوا أصابعهم في آذانهم فهم يترددون بين خطفة النور وهذه خطفة النور ما سمعوه من كلام رسول الله من آياتٍ وحُجَج في بعض الأحيان تخطرُ في أذهانهم فكأنهم يقتربون إلى الهدى ولكن بعد ذلك يبتعدون إلى الضلال لأنهم قد باعوا الهدى واشتروا الضلال.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ فهم في تردد

وفي حيرة لِذا تجد أولئك الذين ابتعدوا عن دارة عليٍ وآل عليٍ تأتيهم لحظات يُقرون بولاية علي ثم تغيب هذه اللحظات لا أقول عند الكثير منهم لكن عند بعضهم تأتيهم لحظات لكن هذه اللحظات تنتهي تنقطع تندثر لسوء نيتهم ولسوء أفعالهم ولِحُبِّهم لأعداء عليٍ كحال ذلك الذي قال لسيد الأوصياء إني أُحبُّكَ وأُحِبُّ فلاناً وذكر شخصاً من أعداء عليٍ ومن أعداء الزهراء صلوات الله عليها فقال لهُ سيدُ الأوصياء أما أنك لأعور فإما أن تعمى وإما أن تُبصر هذا العوَر هُنا الآيات تُشير إلى هذا العَوَر الذي قد يقعُ فيهِ بعضُ الأشخاص وإلا الكثيرُ منهم قد عُموا كما قالت الآية ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلا أن البعض منهم أعور هذا الأعور هو الذي تتحدث عنهُ هذه الآية ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ولكن بعد ذلك سيؤل مصيرهم إلى العمى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يُذهب بسمعهم وبأبصارهم لفعل ولكنها الدنيا وهي دارُ الإبتلاء ودار الإمتحان ودارُ الفتنةِ ودارُ التمحيص ولابد من الإمتحان.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعد أن تمَّ الحديث عن هذه المجموعات الثلاثة المتقون، الكافرون بآيات الله بأنعُم الله بحجج الله ثم السفهاء، ثم تحدَّثَ القرآن عن أمثلةٍ يُقرِّبُ فيها صورة هؤلاء السفهاء هؤلاء الذين استوقدوا ناراً فلما أضاءت ما حولهم ذهب الله بنورهم، أو هؤلاء الذين يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم جاءت الآية هنا في خطابٍ لكل البشر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخطاب هنا خطابٌ للناس والخطابُ هنا خطابٌ للناسِ بِكُلَّ ما فيهم خِطابٌ لعقولهم وخطابٌ لفطرتهم وخطابٌ لوجدانهم وخطابٌ لضمائرهم وخطابٌ لحواسهم وخطابٌ للواقع الذي يعيشون فيه وخطابٌ لتجاربهم ولمعرفتهم ولعلمهم ولكل ما فيهم خطابٌ لكل وجودهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون يُرجعنا إلى أول السورة الشريفة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فالكتابُ والذي قلنا عنهُ عليٌ هو هدىً للمتقين والخطابُ في هذه الآية خطابٌ لكل الناس ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تصلون إلى درجة التقوى، ولعل كما يُقال تفيد ماذا؟ تفيد الترجي يُرجى لكم أن تصلوا إلى درجة التقوى إذا وصلتم إلى درجة التقوى حينئذٍ سيكون ذلك الكتاب هُدىً لكم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يُرجى لكم التقوى إذا عبدتم ربكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية هنا تُشيرُ إلى هذه الحقيقة، الحقيقةُ أن الخالق هو الله فقط، الله الذي خلقكم لابد أن تعبدوه لأي شيءٍ؟

العبادة صحيحٌ أنها هي شكرٌ لخالقنا لكنَّ العبادة في حقيقتها هي تتمةٌ لخلقنا لأن الله سبحانه وتعالى حين خلقنا وخلق هذه الجنبة المادية حين خلق أبداننا وخلق أرواحنا وأعطانا العقلَ والفطرة والوجدان والحواسَ فمثل ما هناك نواقص وحاجات يحتاجها هذا البدن وهذا الجسم وهذا الجسد كذلك هناك حاجات تحتاجها الروح ويحتاجها العقل، العبادةُ تتمةٌ لِما تقدَّم من خلقنا وإلا فالباري سبحانه وتعالى ليس بحاجةٍ لِشُكرنا ولا بحاجةٍ لعبادتنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية هنا تشير إلى الخلق وتشير إلى التربية، الخطاب إلى الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي﴾ الرب هو المربي الذي خلقكم خلق الأبدان خلق الأرواح وهو الذي ربَّاها هو الذي نماها ربَّاها أخرجها من العدمِ إلى الوجود ثم أتمَ نواقصها ونماها ولازال فيضهُ متواصلاً إليها هذا النَفَس القدرة عند الإنسان على أخذ الهواء ثم وجود الهواء بهذا النحو المجاني لا يملكهُ أحد هذا الهواء لو ملكتهُ الحكومات أو ملكتهُ الشركات أو مَلَكهُ إنسان أو مَلَكهُ الأغنياء أو أصحاب رؤوس الأموال لَمَا تمكنا أن نصل إليه لفعلوا بنا الأفاعيل ولفعلوا بنا الأعاجيب لكنَّ هذا الهواء الذي هو سر الحياة سرُ البقاء على الأرض هذا الهواء الله سبحانه وتعالى أعطاهُ بالمجان بذلهُ بالمجان وهو يصلُ إلينا شئنا أم أبينا هذا الهواء الذي يُحيطُ بنا أعطانا القدرة على أخذهِ أعطانا القدرة على الانتفاع منه وجعلهُ مبذولاً في كل مكانٍ في كل ثقبٍ من ثقوب الأرض في كل زاويةٍ من زواياها وإلا لو كان هذا الهواء بيد الإنسان لمنعهُ الإنسان عن الإنسان ألم يمنع بنو أمية الماء عن الحسين وهو أبنُ رسول الله لو كانوا يستطيعون أن يمنعوا الهواء عن الحسين لمنعوا الهواء عن الحسين كما منع بنو أمية الماء لو كانوا يتمكنون من منع الهواء لمنعوا الهواء عن الحسين وعن عيال الحسين الله سبحانه وتعالى خلقنا وأعطانا هذه القدرات وهو الذي ربَّانا ومن وسائل التربية العبادة.

العبادةُ وسيلةٌ من وسائل التربية طبعاً الإنسان يتناول الكثير من الأطعمة التي تضرهُ ويقوم بالكثير من الأعمال التي تعود بالمضرة عليه لذلك الإنسان حينما لا يعبد الله ويُنكر العبادة أو يعبدُ الله ويسيء في العبادة فليس بغريب مثل ما يسيء إلى نفسهِ في طعامهِ وشرابهِ ولباسهِ ومسكنهِ وعملهِ فهو يسيء كذلك إلى روحهِ من جهة الإساءة في العبادة إما بتركها وإما بالإيتان بها بنحو الناقص من دون الإتيان بشرائطها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هو خلقنا ومن تمام خلقتنا العبادة كما أن من تمام خلقتنا

الطعام والشراب كما أن من تمام خلقتنا النوم والراحة كما أن من تمام خلقتنا الدواء حين المرض كما أن كما أن الكثير من الأشياء المحيطة بحياتنا والتي نحتاجها نحتاجُ إلى العبادة، لكنَّ الإنسانَ لجهلهِ ولتعلقهِ بالماديات الله سبحانه وتعالى أمرهُ بهذا الأمر لأن الإنسان مشدود إلى الماديات الله سبحانه وتعالى لم يأمرهُ بأن يأكل وبأن يشرب بل أن الله سبحانه وتعالى أمرهُ أن يأكل وأن يشرب لكن قال لا تسرفوا قال: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ لأن الإنسان مشدودٌ إلى الإسراف وهنا كلوا وأشربوا ليس فقط المراد منها الأكل والشرب فقط وإنما الحاجات المادية والجسدية للإنسان، الإسراف في النوم مضرة الإسراف في الجنس مضرة الإسراف في الأكل مضرة الإسراف في كل شيءٍ مضرة ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ الإنسان يذهبُ باتجاه الإسراف أما في العبادة لم يَرِد نصٌ في القرآن أن اعبدوا الله ولا تسرفوا في العبادة لأن الإنسان أصلاً هو مُعرِضٌ عن العبادة مُعرِضُ عن الذي فيهِ منفعةٌ لروحهِ ولعقلهِ ولعاقبتهِ.

الأكل والشرب قد يكون لهما مدخلية في عاقبة الإنسان لكن مدخلية الأكل والشرب لا كمدخلية العبادة، الأكل والشرب قد يكون لهما مدخلية فيما سيكون عليه الإنسان في عالم الآخرة لكن لا كمدخلية العبادة الإنسان الشيء الأهم يتركهُ ويذهب إلى الشيء الذي تكون أهميته وضرورتهُ ليست بالغة إلى الحد الأعظم العبادة هي الضرورة الأهم هي التي ستُحدد مصير الإنسان مصيرهُ في الدنيا وتحدد مصيرهُ في الآخرة لذلك لأن هذه القضية مهمة الله سبحانه وتعالى يوجبها على العباد لأجل مصالح العباد لأن هذا الإنسان مثل ما يصيبه النقص حين ينقص طعامه وشرابهُ يصيبهُ النقص حين تنقص عبادتهُ والعبادةُ ليست مخصوصةً فقط في الصلاة أو في الصيام العبادة دخيلةٌ في كل جزءٍ من أجزاء الحياة الصلاة والصيام مصاديق ومظاهر من مظاهر العبادة، العبادة الحقيقية هي النيةُ الدخيلةُ في كل جزءٍ من أجزاء الحياة، وإنما خلد أهل الجنان في الجنان بنياتهم وهذه هي العبادة الحقيقية، النيةُ في أننا نبقى على طاعة الله مهما عشنا في هذه الحياة هذه هي العبادة الحقيقية والصلاة والصيامُ وسائرُ العبادات الشرعية الأخرى إنما هي مصاديق ومظاهر لهذه النية وهذه النيةُ في حقيقتها وفي معناها الجوهري هي ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلنا إذا ما عبدنا الله سبحانه وتعالى لعلنا بهذه العبادة نتكاملُ فنصلُ إلى التقوى، إذا وصلنا إلى التقوى حينئذٍ يُفتَحُ لنا أيُ باب؟ بابُ ذلك الكتاب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً

لَّكُمْ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً: لا تحدوا بلاغةً كبلاغة القرآن ولا تحدوا جمالاً في التعبير وفي الوصف كجمال تعبير ووصف القرآن ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ الفِراش هو الفِراش الذي نعرفهُ هو هذا الذي يكونُ سبباً لراحتنا، هو هذا الذي ننامُ عليه نتقلب عليه أو نجلسُ عليه هذا الفراش الذي لا هو بالسائل الذي يكونُ كالماء فلا نستطيعُ أن ننتفع منه ولاهو الذي بالصلب بالصلد لذلك الناس من أي شيءٍ يصنعون الفِراش؟ ألا يصنعونهُ من القطن أو من الصوف أو من مادةٍ أخرى كمادة الاسفنج الصناعية الآن الموجودة أو مواد أخرى التي يكونُ منها الفِراش لا هو بالسائل كالماء فلا نتفعُ منه ولا هو كالصخر يكونُ ليناً الله سبحانه وتعالى جعل الأرض فِراشاً، فِراشاً يعني جعلها سَهِلةً لينةً مناسبةً لحياتنا ومناسبة لِطباعنا هذه الأرض لا هي بالأرض المتموجة الرخوة التي تبتلعنا مثل ما قد يكون في بعض الأماكن الرمال المتموجة الرمال السَهِلة الرمال التي قد تبتلع الإنسان أو مثل بعض المناطق الطينية التي لا يتمكن الإنسان من أن يتماسك ويقف عليها.

الله سبحانه وتعالى جعل الأرض بشكلٍ عام جعل هذه الأرض ليست لينة إلى الحد البعيد ولم يجعلها صلبة بحيث لا نتمكن من التعامل معها فلا نستطيع أن نزرعها لو كانت الأرض صلبة لا يستطيع الإنسان أن يخترقها لَمَا استطاع أن يزرعها ولَمَا استطاع أن يتحفر الآبار والأنهار فيها فيستنبط الماء منها ولَمَا استطاع أن يستفيد من تُرابها ومن طينها لبناء البيوت والمدن والعمران، الله سبحانه وتعالى جعل الأرض فِراشاً جعلها بالنحو الذي نسيرُ عليه فلا نشعرُ الصعوبة هذه الجاذبية قوة الجاذبية الله سبحانه وتعالى جعلها في الأرض جعلها في فضاءه في الكواكب وفي النجوم جعل هذه الجاذبية في الأرض لا بالنحو الذي يطيرُ الإنسان من فوق الأرض فلا يتمكن من السير عليها ولا بالنحو الذي يلتصقُ إلى الأرض فيكونُ مشدوداً نحنُ نتحرك على هذه الأرض ولا نشعرُ بقوةٍ تشدنا إلى الأرض بينما هناك قوة، قوة الجذب التي تجعلنا نعيشُ على هذه الأرض ولو أختل ميزانُ الجاذبية لَمَا استطاع الإنسان يعيشُ متوازناً ويسير متزناً على هذه الأرض، الله سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الأرض فِراشاً نسيرُ عليها نزرعُ فيها نُخرِجُ فيها نخرِجُ الماء منها نخرِجُ النفط منها والمعادن والجواهر نخرِجُ منها كل شيء ثم نُدفن فيها ثم نستعملها لكل استعمالات الحياة المختلفة هذا معنى أن الله سبحانه وتعالى جعل الارض فراشاً والسماء بناء والسماء هي الجهة العليا بكل طبقاتها جعل السماء بناء السماء هي الجهة التي يأتي منها المطر جهة الغيم السماء هي الغلاف الغازي المحيط بالأرض والذي يُجنِّبُ الأرض الكثير من المخاطر من مخاطر الأشعة من مخاطر الموجات الكهرومغناطيسية الآتية من الفضاء هذا الحزام الحافظ وهذا الثوب هذا الدرع الواقي الغلاف الغازي هي أيضاً ينطبقُ عليها معنى السماء، السماء هذا الفضاء الواسع الذي تسبحُ فيه المجموعة الشمسية والمجرات الهائلة كلُّ هذا يسمى السماء هذا السماء

كان سقفاً محفوظاً بناءً ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ لو كانت هذه الأرض ليست فِراشاً كانت صلدةً، كانت صلبةً لَمَا نفذ فيها الماء ولَمَا خرج منها الشجر ولَمَا خرج من الشجر الثمر، ثمر الشجر من أين يأتي؟ المواد التي تكوَّن منها الثمر ألم يكن من باطن الأرض من هذا التراب ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ هذه كلها من معاني التربية ألم تكن الآية تخاطبنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ خلقكم ربكم الرب هو المربي من جملة معاني هذه التربية ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ هذه التربية المادية وأما العبادة التي يأمرنا بها فهي التربية المعنوية فهو الرب يربينا بالعبادة المعنوية ويربينا كذلك بهذا الفيض المادي الذي يُنزِلهُ لنا وعلينا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُم﴾ الرزق هو قِوام الحياة قِوامُ العيش الله سبحانه وتعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ هذا الرزق هو قِوامُ الحياة كما أن العلم قِوامُ العقل وقِوام الروح وأيضاً في الروايات الشريفة هناك إشارات واضحة أن السماء المُرادُ بها رسولُ الله والمرادُ بها الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فما يأتينا من علمٍ ومن تربيةٍ ومن هدايةٍ هو هذا الرزقُ الذي تتقومُ بهِ أرواحنا.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ الأنداد جمعُ ند والند هو المثل، لا تجلعوا لله أمثالاً ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم تعلمون أن هذا الكون وأن هذه الحياة وأن هذه الثمار وأن هذه الأرض خالقها هو الله سبحانه وتعالى ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ وهل هناك ندٌ لله سبحانه وتعالى وهل هناك شكٌ في الله سبحانه وتعالى الفطرة السليمةُ هي التي تقول أمن شكٍ في الله وهل هناك من ندٍ لله سبحانه وتعالى، هذا النظام المتكامل هذه الوحدانية في هذا النظام هذا الجمال الواحد هذا الإتساق في الكون كلهُ يشيرُ إلى واحدٍ واحدٍ واحد إلى أحدٍ أحدٍ أحد.

﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ وعبدنا هنا العبدُ الحقيقي هو خاتمُ الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، العبدُ الحقيقي هو العبدُ الذي يتحققُ فيهِ معنى المعرفة الكاملة ولا تتحققُ معنى المعرفة الكاملة إلا في خاتم الأنبياء لذلك العبودية التحقيقيةُ هي التي تتجلى في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي آله الأطهار أما نحنُ العبودية فينا عبوديةٌ متجزئة لأن العبودية هي فرعُ المعرفة فإذا

كانت المعرفةُ كاملة كانت العبودية كاملة وإذا كانت المعرفة مجزوئة منقوصة كانت العبودية متجزئةً ومنقوصة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الريب هو الشك ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ إذا كنتم تشكون الآن القرآن أمرنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ هذا كلامُ الله إن كنتم في شكٍ من كلام الله إن كنتم في شكٍ من قرآن الله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل هذا القرآن أأتوا بسورةٍ من سور هذا القرآن ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ فأتوا بسورةٍ إما من مثل القرآن أو فأتوا بسورة من مثل مُحَمَّد قد تكون الهاء تعود على القرآن على الذي نزلنا وقد تكون الهاء تعود على عبدنا ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل القرآن من مثل ما نزل أو فأتوا بسورةٍ من مثل عبدنا من مثل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وسورة من مثل مُحَمَّد لأن القرآن هو الكتاب الصامت ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله هو الكتاب الناطق ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل القرآن والسورة هنا تنطبق على أطول سورةٍ وعلى أقصر سورةٍ فأتوا بسورةٍ أقصر سورة كما هو المعروف هي سورة الكوثر فأتوا بسورةٍ إن كنتم قادرين من مثل سورة الكوثر.

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شُهداءكم: ادعوا علمائكم، ادعوا أئمتكم ادعوا أصنامكم، ادعوا آلِهتكم التي تدّعون ادعوا من تريدون وادعوا شُهداءكم الذي يشهدون عليكم هم شهودٌ عليكم والذين يشهدون عليكم هم الذين يعلمون بأحوالكم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ ادعوا أئمتكم، ادعوا أصنامكم آلِهتكم ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم صادقين: فيما تدّعون من إثارتكم للريب وللشكِ وللشبهة، القرآن هنا يتحدثُ عن نفسهِ والقرآن هنا يتحدثُ عن اعجازهِ القرآن مُعجِز وإعجازُ القرآن كيف يتجلى، يتجلى إعجازُ القرآن في فهم القرآن، ليس صحيحاً أن نقول بأن إعجاز القرآن في بلاغتهِ فقط بلاغة القرآن وجهٌ من وجوه إعجاز القرآن، القرآن مُعجزٍ بكُلّهِ، إذا أراد البُلغاءُ أن يعودوا إلى القرآن سيجدون إعجاز القرآن في بلاغتهِ، صحيح إن الوجه الأول من إعجاز القرآن هو الوجه البلاغي من جهتين باعتبار أن القرآن هو ألفاظ وكلمات وجُمل وأقوال ومن جهةٍ أن القرآن جاء في مواجهة أُمَّة العرب وأُمَّة العرب، العرب عُرِفوا بالبلاغة وبالبيان فمن هنا كانت الصورة الأولى من صور الإعجاز القرآني الصورة البلاغية وبلاغة القرآن ليست في حدٍ واحد يشتبه من يتصور أن بلاغة القرآن في حدٍ واحدٍ بلاغة القرآن الكلام البليغ لا تكون بلاغتهُ في حدٍ واحدٍ والا إذا كان الكلام كلهُ بحدٍ واحدٍ من البلاغة ليس بليغاً، بلاغةُ القرآن في درجات بحسب المعنى بحسب الحدث الذي

يتحدث عنهُ القرآن، بلاغةُ القرآن حين يتحدثُ عن تأريخ الأُمَم السابقة عن قصص الأنبياء تختصُ بنوع تلكم الأحداث وبنوع تلكم القَصص وحين يتحدثُ عن الجنة والنار فبلاغتهُ تختلف بلاغةُ القرآن على درجاتٍ ومظاهر البلاغة في القرآن متعددة الكلام البليغ لا يجب أن يكون بدرجة واحدة من البلاغة وإنما تكون البلاغة بحسب المقصود وبحسب المضمون وبحسب المعنى، القرآن كلهُ بليغ لكن درجات البلاغة في القرآن ودرجات البيان في القرآن تختلفُ من حيثُ المضامين ومن حيثُ الأحداثِ ومن حيث أسباب النزول القرآن كلهُ بليغ والقرآن فيهِ حلاوةٌ وعليه طلاوة ربما الذين لا يتذوقون العربية وربما الذين لم يكونوا قد تمرنوا وتعودوا على الاستماع أو على قراءةِ النصوص الأدبية البليغة قد لا يستشعرون حلاوة بلاغة القرآن لكن في القرآن حلاوة وعلى القرآن طلاوة وفي القرآن عطرٌ بلاغيٌ لا يُشابههُ عطر في أي كلامٍ آخر.

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات المباركات تتجلى فيها معاني البلاغة القرآنية. الآية الكريمة في سورة النبأ المباركة مثلاً الآيات من الآية الحادية والعشرين إلى الآية السادسة والعشرين: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾. الآية الثانية والعشرون من سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

الآية الرابعة والأربعون من سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ في قصة نوحٍ عليه السلام حتى جرسُ صوت الحروف وحتى ترتيب الكلمات ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لو أن حجراً أستمع إليها لو أن حجراً تبَصَّرَ في بلاغتها فليس بغريبٍ أن يرقص طرباً من بلاغتها ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ ليس غريباً أن نقرأ في كتب التأريخ وفي كتب السير أن رجلاً جاء من اليمن في أوائل البعثة الشريفة وسمع بخبر النبي صلى الله عليه وآله في مكة وجد هناك ضجيجاً وكلاماً كثيراً يدور عن

دينٍ جديد عن نبيٍ جديد عن كتابٍ جديد فطلب من بعض المسلمين أن يُسمعوهُ مما جاء في هذا الكتاب فقرأ عليهِ هذه الآيات: قرأ الآية الرابعة والأربعون من سورة هود ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هذا الرجل ما أن سمع هذه الآية حتى مات من شدة بلاغتها ولا عجب في ذلك، لا عجب في ذلك نعم نحن لابتعادنا عن الذوق البلاغي والحس البلاغي قد نستغربُ من ذلك على أي حالٍ إعجازُ القرآن في جانبٍ منهُ في بلاغتهِ وإنما إعجازُ القرآن في جميع وجوههِ، إعجازُ القرآن في معارفهِ، إعجازُ القرآن في العلوم المودعة فيه، إعجاز القرآن في روعتهِ القَصصية والأدبية، إعجازُ القرآن في أحكامهِ وتشريعاتهِ، إعجازُ القرآن في كل جانبٍ من جوانبهِ لكننا لا نتحسسُ هذا الإعجاز إلا أن نُحيط فهماً ومعرفةً ولا نتمكنُ أن نُحيط فهماً ومعرفةً إلا بوجودِ من يُترجِمُ لنا هذا الإعجاز لذلك رسالةُ النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن نتصور كمالها بكتابٍ من دون مُفسِّرٍ ومُترجِمٍ لهذا الكتاب من هنا جاءت الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في أي شيءٍ؟

لأن النبي صلى الله عليه وآله بلَّغَ الدين وأوصل الرسالة الإلهية إلى حدها الذي بلغ فيهِ ما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم وأتم الكتاب ووضع الكتاب بين يدي الناس ثم شخَّصَ لهم المفسِّرَ لهذا الكتاب فَكَمُلَ الدينُ بذلك وإلا إذا تصورنا أن الكتاب من دون مُفسر من دون راعٍ من دون قيوم على هذا الكتاب فإن الدين سيكون ناقصاً، فإعجازُ القرآن بحقيقتهِ لا نتمكنُ أن نصل إليهِ إلا من طريق مُفسِّرٍ وهذا المُفسِر لا يعتمد على قولِ شاعرٍ جاهليٍ عاشَ في الزمن الأول في زمن الجاهلية الأول أو على مَثَلٍ من الأمثال العربية مثلاً أو على ذوقٍ يتذوقهُ، هذا الكتابُ بحاجةٍ إلى مُفسِّرٍ يتصلُ بسببٍ إلى السماء وهذا المفسرُ الذي يتصلُ بسببٍ إلى السماء لا يمكن أن يكون متصلاً بسببٍ إلى السماء ما لم يكن قلبهُ قلباً طاهراً معصوماً.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ: لم تفيد الجزم تفيد النفي ولكن لن تفيد النفي التأبيدي ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لن تتمكنوا من ذلك أبداً فإذا كنتم كذلك على الحالتين فإن لم تفعلوا لم تقوموا بمواجهة هذا الكتاب وإنكم لن تفعلوا لو أردتم في كل الأحوال ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ وهنا اتقوا أستعمل لفظة اتقوا، يعود بنا الكلام إلى الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعود بنا إلى أول السورة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وفي وقتها قلتُ التقوى هي ولاية عليٍ

لأنها هي التي تقينا من الضلالة في الدنيا وتقينا من النار في الآخرة ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هذه النار نارُ الآخرة نارُ جهنم بأيِ شيءٍ تتقد؟

هذه وقودها جمرها الناس والحجارة، هناك حجارةُ النار التي هي نار وهناك الناس سيكونون جزءاً من الوقود، الناس نفسهم سيكونون جزءاً من وقود هذا النار كما أن الجمر جزء من وقود النار الناس سيكونون جمراً لتلكم النار ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أُعِدت للكافرين الذين مرَّ ذكرهم في الآيات السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه النار أعدت لهم لماذا؟ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

فقط أخذ الآية الأخيرة هي الآية الخامسة والعشرون ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الآية الشريفة هي التي ستكون بدايةً لحلقتنا القادمة إن شاء الله تعالى أسألكم الدعاء جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ